نبيل ولمى

وحده لا شريك له، كان أول الحالمين بها، بُستاني مر بحديقتها فصار سكران، أول ما قبّلها؛ تشنج.. حبة السكر المالحة بمبسمها علقت بتكوينه.. لم يعبث بصلصال الجسد، لكنه استلقى مبهـــورا، تركت له شاماتها يحاورها -كان له مع كل شامة قصة، إلا واحدة- وفجأة رحلت..

سـلمت نفسـها لرجل أتاهـا في المسـاء وطعنهـا بوحشـية، وابتهج لمـا رأى دمهـا، لكن الله سـلم.. مر ما مر مـن الزمان، وعـادت إليه يلملمها بجراحاتها وانكسـاراتها.. كان كل ذنبه في حقها أنه انتظرها سـنـــــــوات.. لم تقدر ما فعله لأجلها.. حصاره لها بالمحبة جعلها زاهـدة فيـه تمامًا.. نسـيته وكل ما أهداها، (نسـيت أنـه كتب وغنى مـن أجلها بكل اللغات واللهجات، نسـيت كل لحـن أحبّاه معًا من النجرشـات والكومبانكـش(*)، إلى عمرو دياب وصـلاح الزدجالي -نسـيت أنـه لأجلها تعلم القـراءة في العَروض ليطبـق يومًا لأجلها

(*) النجرشات والكومبانكش - ألحان من التراث النوبي

«يا خفيفاً خفّت به الحركات.. فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن- أو طويلٌ له دون البحور فضائلٌ.. فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن»)..

تخيّلت أن الحنين سيجعله تحت أقدامها كل ما تبقى من عمره.. لكنه قرر أن يتزوج.. ويوم عرسه قالت وكل ما فيها ممزق:

«كان يومًا لا يمكن أن يمحى من ذاكرتي ما حييت، لعلي لم أعرف قبل ذلك اليوم ما هو الحزن؟.. مررت قبل ذلك بأحزان، أما حزن ذلك اليوم، فقد كان من النوع الذي يحرق الروح والقلب الوجدان.. تساءلت: ترى هل أخطر في بالك بينما تستعد لزفافك؟ هل تسأل نفسك أيّ سؤال؟ ألا تشعر بأي حنين؟ ألم تخطئ وتناديها باسمي؟ أم لعلك نسيت كل شيء؟ نبيل.. أبهذه السهولة تمضي!؟ لتجعل من حياتك ملكًا لا مرأة أخرى.. كنت عاجزة عن تصديق أن ذلك الأمر سيمضي نحو نهايته.. وحتى في تلك الليلة.. كنت مؤمنة أن شيئًا ما سيحدث ويمنع إتمام زواجك ..حنينك الذي قد يجتاحك ذات لحظة فتهرب مما أنت ذاهب إليه وتجري عائدًا.. أوهام!؟ أعرف ذلك، لم تكن بي حاجة للمنطق كنت أختلق لنفسي أيّة آمال، حتى لو لم تكن سوى مجرد أوهام..»

وحده من كان يحبها حبًّا مزمنًا متطرفًا.. وحده كان قادرًا على إسعادها..
وذات تعاسة وخيبة، عادت إليه لتعترف قائلة:

«ذات مرة تساءلت: هل سيكون لنا ذات يوم من قد يروينا؟ وصلّيت ألا يحدث ذلك؛ لأن الأدب لا تغريه دروبُ الآلام، وقد حدث ما كنتُ أخشاه.. ولكن ما أتمناه الآن آلا تكون النهايةُ قاسيةً إلى هذا الحد، لا أريدُ أن أُصدقَ ذلك، فنحن محكومون بالأمل، أن تنهضَ أن تعودْ.. فالحياةُ خارجَ هذا المكان مازالت جميلة رُغم كلِّ شيء، عُدْ إليَّ نبيل.. عُدْ إليّ، فأنا نذرتُ نفسي لكَ.. لكَ وحدكَ.. على طول الأيام..» (*)

وكما ذكر السيناريو.. لم يسمع نبيل لاعترافها.. كان قد ارتقى لحياة الآفلين.

(*) الفقرات المائلة لـ«سلاف فواخرجي» من المسلسل السوري «على طول الأيام» للروائي السوري «فادي قوشقجي» والإخراج لـ «حاتم علي» والبطولة لها مع «تيّم الحسن».